«درع الأمن العسكري» ينهار! | تلفزيون سوريا

syria.tv/«درع-الأمن-العسكري»-ينهار

September 2, 2018

منذ يومين شيعت القرداحة ابنها «القائد الشهيد أبو علي سلهب» ، بوابل من الرصاص وغضب مكتوم. ففي الساعات الأولى من أيلول تناقلت صفحات الساحل على فيسبوك خبر «وفاة» سلهب، غير أن أبناء مدينته لم يقنعهم موته بشكل طبيعي، في السادسة والخمسين من العمر، بصحة جيدة وبعد كثير من المشاكل. حتى أخذت القصة تتسرب شفهياً: لقد قتل في كمين في دمشق، بعد أن تخفّى هناك لأيام، نتيجة اشتباك مع الأمن الجنائي راح فيه ضحايا من الجانبين. لم يأبه المشيعون لهتاف حامل الميكروفون «بالروح بالدم نفديك يا بشار»، ورددوا «لا إله إلى الله/ والشهيد حبيب الله»، إذ رأوا في طريقة الموت هذه وقاحة تصل إلى درجة الإهانة لرجل قدّم الكثير.

لم يكن هذا هو الصدام الأول لمحمد سلهب مع قوات النظام، منذ أن عمل في التهريب من شبابه ودخل السجن مراراً؛ لكنه الوحيد بعد أن أصبح «مجاهداً» أثناء «الأزمة». ففي 2012 جمع سلهب حوله بعض الرجال والشبان، من القرداحة وجوارها، تحت اسم «كتيبة عرين الأسود». قاتل تحت مظلة «قوات الأمن والدعم الشعبي» (قادش)، المرتبطة إدارياً وتسليحاً ورواتبا بالحرس الجمهوري. وعندما تراجعت قادش احتفظ بمقاتليه. ولأن النظام يفرض على «المجموعات الرديفة» العمل ضمن عباءة إحدى قواه النظامية، فقد وجد سلهب طريقه إلى قوات «درع الأمن العسكري» التي شكلها جهاز المخابرات العسكرية مطلع 2016، وهي عملياً بإدارة فرعه في اللاذقية، بحكم وجود المجموعات المؤسِّسة «للدرع» هناك بشكل رئيسي، فكان الفرع 223 هو المخوّل بمنح أفرادها بطاقات التعريف والأسلحة.

سيلاقي أبو علي منافساً عتيقاً في هذه القوات، هو «الخال» بديع سعيد (أبو إسماعيل)، الذي يماثله في العمر والانتماء إلى القرداحة والعمل سابقاً في التهريب، وهي «مهنة» شائعة في تلك المدينة ذات السطوة؛ لكنه يخالفه فيما سوى ذلك. ففي حين يميل أبو علي إلى الحيوية والاستعراض، يبدو «الخال» رزيناً وكأنه خارج من «باب الحارة»، مشغولاً بالقتال والتدخين فقط، فيما يبدو نظيره شغوفاً

بالتقاط الصور بنظاراته الشمسية وملابسه الرياضية والعسكرية المميزة، وتوظيف «إعلاميين» وتوجيه شعراء ومطربين محليين لكتابة أغان عن بطولاته وتمجيد سجاياه. كان سلهب سخياً مع «عناصره» وسواهم، وكذلك في الذبائح التي يقدمها لمقامات بني هاشم وسواها من المزارات، دون علامات تدين جدي مع ما اشتهر عنه من الإفراط في الكحول، وتعاطي المخدرات، وصحبة النساء من داخل الفصيل وخارجه. إذ لم تخل مجموعات «الدرع» من إناث في الأعمال المكتبية أو التمريض أو كقناصات. وبالمقابل بدا «الخال»، بلحيته الرمادية الطويلة والعصبة السوداء على رأسه، أشبه بقائد في فصيل إسلامي.

> عيّن الأمن العسكري التاجر الشاب النافذ من ريف جبلة حسن محفوض مشرفاً على «الدرع» منذ تأسيسه، حتى أزاحه عن الصدارة، بعد أشهر، شخص غير متوقع هو محمد حماض، عضو غرفة صناعة حلب ذو الخلفية المثيرة.

عيّن الأمن العسكري التاجر الشاب النافذ من ريف جبلة حسن محفوض مشرفاً على «الدرع» منذ تأسيسه، حتى أزاحه عن الصدارة، بعد أشهر، شخص غير متوقع هو محمد حماض، عضو غرفة صناعة حلب ذو الخلفية المثيرة. ففي 1982 كان والده، مصطفى كمال، رائداً في الجيش عندما عرض عليه أحد زملائه المنتمين إلى الإخوان المسلمين الانتساب إلى الجماعة أو التنسيق معها، فأخبر الأمن العسكري الذي قبض، إثر ذلك، على خلية من الضباط، وكافأ الرائد بترفيعه ونقله إلى ملاك المخابرات العسكرية نائباً لرئيس فرع اللاذقية. في 1988 قضى العميد مصطفى بحادث سير، قبل أن يتم ابنه العاشرة. وهو الحادث الذي سيزعم محمد أنه كان مدبراً من خلايا للإخوان انتقاماً لدور أبيه في استدراج عدنان عقلة، القائد الشهير لتنظيم «الطليعة المقاتلة»، وإعدامه بيده!

لم ينظر سلهب و«الخال»، وسواهما من قادة مجموعات أقل عدداً وأهمية، إلى حماض كقائد فعلي، بل كـ«تاجر حلبي»، رغم أن الشاب ذي المظهر المتنعم أطلق لحيته التي تشعثت عند زيارة الجبهات وصار يرتدي البدلات المرقطة. ولم يصدّقوا الرواية التي أشاعها من أن عائلته تتحدر من بقايا العلويين الذين بقوا في حلب بعد مذبحة السلطان سليم الأول في حق الطائفة هناك، كما تقول ذاكرتها الشعبية. وإذا كان سبب تعيين حماض هو المال، فكذلك كانت أسباب إظهار الولاء له أو الشكوى منه أو التنمر عليه. فقد أتى تمويل قوات «الدرع» من مصادر متعددة، بينها الرواتب من الفرع، أو من دعم حماض الدوري، أو مما يقدّمه تجار متعاونون مع النظام من آل قاطرجي في حلب، قبل أن يدخل الروس على خط التمويل والتنظيم. فيما تتكفل «جمعية البستان»، التابعة لرامي مخلوف، بدفع تعويضات من يُقتل من عناصر «الدرع»، وهم لا يحظون باعتراف رسمي، ولا تترتب لأهاليهم استحقاقات ذوي «الشهداء» لدى النظام.

عدد قتلى «الدرع» مرتفع نسبياً، بسبب خراقة أفراده ومعظم قادة مجموعاته وقلة خبرتهم العسكرية. متوسط عدد مقاتلي الفصيل في حدود المئات، وهو رقم يزيد وينقص بحسب التمويل الذي قد يتأخر لأشهر أحياناً، مما يدفع بعض المقاتلين إلى الانصراف إلى أعمالهم أو إلى الالتحاق بتشكيلات أخرى. وكذلك يزيد عدد عناصر كل كتلة وفق شعبية قائدها، فترتقي، في حال النمو، من التعريف بنفسها كـ«مجموعة» فلان إلى «مجموعاته». وهنا أيضاً ظهر التنافس بين «الخال»، بكاريزماه المتقشفة، وبين أبو علي بشخصية «أبو الفقراء» الروبن هودية المتلافة، وخاصة بعد أن أثرى فجأة وصار، هو نفسه، من الممولين!

يحرص أبو إسماعيل على إظهار صورة تجمعه برفيق طفولته علي خزام، العقيد في الحرس الجمهوري وذي الشعبية الجارفة بين العلويين، وأطلق «الخال» اسمه على كتيبة أنشأها بعد مقتله في دير الزور عام 2012، وكانت مرتبطة شكلياً بالحرس. أما أبو علي، الأحدث دوماً، فقد صادق نوح زعيتر، الشائع أنه رجل زراعة وتجارة مخدرات لبناني وسيم حاز، هو الآخر، شعبية كبيرة بين موالي النظام بعد بث القنوات، عام 2017، مسلسل «الهيبة» الذي قيل إنه استلهم من زعيتر شخصية بطله «جبل شيخ الجبل». وإلى هذه «الصداقة»، المتحولة إلى «عمل» كما يبدو، يعزو الكثيرون سبب ثراء سلهب الفاحش... ومقتله...

يتقاضى مقاتل «الدرع» ما يساوي 150 $ تقريباً. ويقدّم رؤساء المجموعات قوائم بالأعداد التي تحت أيديهم، يجري تضخيمها غالباً، مما أشاع الكثير من الاتهامات المتبادلة بالفساد، ولا سيما قبل التمويل الروسي الذي صار ينظّم تسليم الرواتب للأفراد مباشرة ويدقق في الأعداد. أما أيام التمويل المباشر من حماض فكانت عناصر الكرم والولاء والتملق حاسمة في كمية الدعم الذي تناله كل مجموعة، لا سيما إذا أظهرت «قائد الدرع»، الذي لا يقل حباً للتصوير، في تسجيل فيديو وهو يعطي توجيهاته قبيل بعض المعارك التي ستخوضها، في ريف اللاذقية أو تدمر أو حلب أو السخنة أو دير الزور، وبثته على إحدى صفحات «الدرع» على فيسبوك، وهي كثيرة ومتباينة بحسب المجموعة التي ينتمي إليها «الإعلامي» الذي يدير الصفحة.

> مع استهلاك ثروته بالتدريج انحسرت مكانة حماض إلى مجرد «مشرف»، ورجع من تبقى من قادة المجموعات إلى مخاطبته بلقب «الأستاذ» البارد، فيما انصرف بعض القادة إلى خيارات أخرى.

مع استهلاك ثروته بالتدريج انحسرت مكانة حماض إلى مجرد «مشرف»، ورجع من تبقى من قادة المجموعات إلى مخاطبته بلقب «الأستاذ» البارد، فيما انصرف بعض القادة إلى خيارات أخرى. كما فعل شادي محمود الذي انكفأ إلى شؤونه الخاصة في القرداحة بعد صدامه مع ضباط في الجيش، وتفرقت مجموعته التي كانت بالعشرات، من بينهم أبوه وابنه وشقيقاه، وقُتل أحدهما في حلب، وشقيقتاه بصفة إعلامية ومسؤولة ذاتية. وانضم بعض مقاتليه إلى مجموعات أخرى في «الدرع»، فيما التحق آخرون بـ«سرايا العمّار» التي أسسها «المجاهد» عمار شعبان والتابعة للمخابرات العسكرية أيضاً. أما «الخال»، الذي يتفكّر اليوم في «غدر الزمان»، فصار يغازل «سرايا العربن» التي يقودها «مجاهد» محلي شهير آخر هو يسار طلال الأسد.

في تموز 2017 كرّم قائد القوات الروسية العاملة في سورية، مكلفاً من وزير دفاعه، كلاً من سلهب وحماض. يمضي «الزمن الجميل» بسرعة. قُتل أبو علي، «ساموراي الصحراء» كما كان يحب أن يُلقّب، ولم يجرؤ «قائده» على المشاركة في الجنازة بسبب الشائعات التي تتهمه بالوشاية به، وتهديد «الخال» بالثأر لنظيره اللدود. ينكر المموّل المغامر أي علاقة له بما حدث، لكن كثيراً من المهووسين بـ«دواعش الداخل» لا يصدقونه.